

إِشْرَاقَات

سلسلة شعرية يختارها ويشرف عليها
أدونيس

تُشَرُّ بِمَنْحَةٍ خَاصَّةٍ مِنْ
مُؤَسَّسَةِ غَسَّانِ جَدِيدِ النَّمْيَةِ

تصميم الغلاف: الفنان أحمد معلّ
إشراف عام: أرواد إسبر

الطبعة الأولى 2024
© جميع حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة
لدار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع
ISBN 978-614-501-010-4

دار أبعاد للطباعة والنشر
لبنان - بيروت - الحمرا
شارع عبد المنعم - بناية بلعة وقمند ط 4
صندوق بريد 7179 - 113 بيروت - لبنان
00961-71-841086.
abaaddar@gmail.com

معاذ حميد السمعي

لعنة الكيبورد

شيفرة الضوء

لا طائلَ من البكاء.
تقول ساحرةُ المدينة:
الغامضون أفاعٍ!
والعابرون أكلتهمُ المسافةُ والريح.
بأربعةِ حروف
وحيدةِ كنواقيس سفينة
هطلت بي
وغابت في الدخان.
ميم عين ألف
وعلامة استفهامٍ فقدت حدَّتها
بعد سقوطي بلحظات.

تقول أُمي:
الأشياء الحادّة تُسبّب الأذى
لا طائِلَ منها لصقل زوايا الروح.
أنا أصدّق أُمي
أعرف لمَ كانت تقول ذلك.
لكني أحتاجها الآن
حادّةً لفكّ شيفرة الضوء،
للتخلص من المرأة العالقة في فمي،
لحلّ الكلمات المعقّدة،
لرّتق جيوب الجرح،
لتحرير يديّ المقيّدتين على الحائط،
لعكس المعادلة،
لكسر زجاج الموت.
تعرف أُمي
أنّها خلّقت مثلي هكذا
مقلوبةً بشكل عجيب،
لا شيء لنستند عليه.
فقط كانت تعلّمني
كيف أمسك القطرات في جوفي
فلا يتبعثر الأمل،
كيف أختلس منظرًا يشبه الوطن
من نوافذ المنفى،

وأصنع من قوائم النعوش
مشنقة للحرب،
كيف أهرب بوجه المدينة من صفعات البنادق
وأحدث طويلاً إلى الحب،
فلا أموت جوعاً للفرح.
في الركن البائس
من رأس هذا العالم المأبون
كفأس بلا عصا
أحتطب مواجعي مع الطلح
والصبار وأدس أحزاني
في تجاعيد الحكايات البعيدة.
ليس لي أن أتذكر تاريخ ميلادي
فقط أتحسس يدي،
كلما خفتت قهقهة الجدران،
لأعد أصابع الحي.
الحالة التي يمكن إثباتها الآن
تقضي بأني تزوجت سابقاً من كل فتيات الفصل
والفصول المجاورة،
منهن الجميلات كدروس القراءة
والقييحات كحصص الحساب،
الخجولات على عين الماء
والجريئات في الحقول والمراعي.

لاحقاً تعاونُ جميعاً
وأنجن لي زوجةً سالحة.
تقول إحداهن:
الشجرة القديمة التي حُفرت عليها
شهادة ميلادك
ثقبها الرصاص
والعصافير التي رَسمت
قبل أربعين قصيدة حزن
عالقةً أيضاً في رحم الحرب
ومشغولةً بعصب الموت.

ليس لي شكّ ثابت
للأشجار أيضاً
أسرارٌ ووجوهٌ
تحفظنا جيداً إذا ما صرنا أبواباً ونوافذ.
كلّ خمس هزائم
تتغيّر ملامحي
وطباعي أيضاً.
حسناً، أنا لست حجراً.
أعتمر قبعةً سوداء
قديمةً ومهترئة،
وألبس أشياء بلا جيوب.

من قبل كنت أعمل سائساً عند أبي
وحينما طار طارت معه الخيول البيضاء،
فأصبحتُ عاطلاً بلا حياة.

وظيفة شاغرة

بلا أجر تتهافت عليها نوايا المخبرين
وديدان التهم.

من يعلمني الآن

كيف أكمل دورة الرماد،
كيف أحرث النّص تحت سقف يابس
وأحصد الأحلام على أرضية ميّنة؟
بالمناسبة:

لم أكن أشاركُ أشياءي مع أحد.

قبل عينيك أقصد

كنت أحب قدميَّ مثلاً: تحملانني وحدي
ولا شيء غير قبعتي لأحمله.

وهأنذا أتقاسم أصابعها الآن مع الكمائن والألغام،
وأحمل والمدينة سقف زنزانة واحدة.

المدينة متهمّة بالضوء

بمراقبة الشياطين

وأنا متّهمٌ بالشعر بمخادنة النّص.

كلما حضررتني ضجة الطواحين

عبيّنة الكتابة

طعنة البوح
غمستُ لهفتي في فنجان الدَّمع،
وغدوت بالفعل سيئ السَّمة.
أنفُر من عجينة الشعراء،
لونها الحامض
طعمها المصفر
أرغفةً تتساقط حافية في الظلام
تنقر عروق الجوع وتملؤها بالغواية.
لا تعجبني فيروز
تجرح لحم المرأيا.
كرةٌ قديمة من العشب
تستقبل الصُّباحات بقذيفة ناسفة.
تتمايل روعي مع إيقاع الطبله كعاهرة
تحمل على عاتقها تابوت قيامة.
أتعاطى القات والأغاني الشعبية والسَّجائر المهربة
وأتعامل مع القهوة بقسوة عنصري قديم.
تشبه الغياب سمرتها
المخضبة بالدمع والدم
تُراقص الموت عارياً بلا مكابح.
المساءات الطويلة
تُجهض الحلم بقمرٍ كاذبٍ ونجمتين في البعيد.
لا أمتهن فكرة الصَّيد

ولا تستهويني مطاردة الكلمات
تماماً كما تفعلين
بمكالمة عابرة للخيالات والأزمنة،
برسالة غير متوقّعة الهطول،
بزيارة خاطفة كالبرق
توقد فسيل العشب الظامئ في أعماقي
يُبَاغِتْنِي النَّصُّ ويمضي
تماماً كما تفعلين
ملتهباً يتحاشى الوقوع في الوحل.
قبل عشرين عاماً
كانت علبة التدخين فضيحة،
لم يكن لي اقترافها
لكنَّ أحدهم فسخ خطوبتي من ابنته
لأني كتبت نصّاً
أشعلت فيه سيجارة.
يقول النَّصُّ: الكتابة آلهة المجاز
وأنتِ فاتحة النَّهار.
الصُّباح ينهمر من تحت أظافركِ
على شكل منازل في الجوار
يبدأ بمواء تلميذة راجفة على باب المدرسة.
وينتهي بإشعال شفتيكِ على قبة الكون.
من يومها:

أتزاحم والبراغيث والقمل والضفادع
نتشارك والوطنَ سروالاً واحداً.
الوطن أيضاً متهمٌ بتصفية أحدهم منذ قرون
وأنا متهمٌ بك
بالكاد يتنفس.
وبالكاد أستطيع الولوج في عينيك،
ينفض وجه الأرض
نمّزق الأغطية،
يشعل أحياء الذاكرة
نفتحها لقراصنة الحزن،
فلا نتحرّر من الوحدة.
يلعق ماسورة الامتلاء،
نتعرقّ كليلاً بارد.
كنهرٍ نفيض بغيا بك فلا نكتمل.
ينسلخ من كنزة الماضي،
أخوض في الوهم،
يمضي بعيداً.
أتبعثر في شوارع الغد
فلا أنجو منك.
من يقنع عينيكِ أنهما أُخْتَا النوافذ!؟
من يمسح عني ظلالهما؟
تلكما الصغيرتان حد فمي بندقية صيدٍ إسبانية

أسقطتني أول الماء
ومثلها يودّ هذا القلب أن يكسرنى الآن
في منتصف الحنين.
أشياء أخيرة
أهشّ بها لهفتي
أنفخ بها فقاقيع الضوء
وأطرق بها مسامير القلق.
أشياء قد لا تعني أغلب المشنوقين
على ناصية الكلام.
قلبٌ مفتوح،
ونبضٌ متقطّع
مكانٌ أجلس عليه في الشّارع
وأخر آوي إليه على الشّجرة.
يدان سليمتان بخمس أصابع
وفمٌ أكل نصفه الغياب.
مضاربٌ تمتد كمنظار نسيّ مسن،
تنكص العمومة في الأنحاء،
وأم تجلس القرفصاء على التّل،
أغسل بحسهما وجعي.
أطفالاً أنجبتهُم فوق جبل غسيل هشّ
أثقلته أحلام الغرباء وانقطع به الأمل منذ وقت بعيد.
لا يخشى أن يصيروا رجالاً.

أَقْلَامٌ وَكُتُبٌ وَدَفَاتِرُ
وَأَصْدِقَاءُ، تَمَيَّتَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكْبُرُوا.
بِلَادٌ تَخْنُقُ انْتِمَائِي بِدَايَةِ كُلِّ نَهَارٍ،
وَقِصَائِدُ لَا أَدْرِي لِمِ كَتَبْتُهَا
تَتَمَدَّدُ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلَ مَقَابِرِ الْمَدِينَةِ.
الْقِصَائِدُ أَقْفَالٌ مُحْكَمَةٌ،
تَقُولُ إِحْدَاهُنَّ:
وَمَا أَنْتَ إِلَّا صَانِعٌ لِلْمِفَاتِيحِ.
مَنْ إِحْدَاهُنَّ؟!
صَدَقْنِي كُلَّ وَاحِدَةٍ بِقَوَامِ هَزِيمَةٍ،
وَهَزَائِمِي مِنْ بَعْدِكَ لَا تُحْصَى.

شجرة

شجرةً واحدةً بإمكانها
أن تصيرَ أشياءَ كثيرةً
سريراً فسيحاً مثلاً
وإن كان لا يتسع لأحد
ومَقْعِداً لخيالِ أبي المنهكِ
وآخرَ لرأسي
رأسِ حصانٍ خشبيٍّ مبتورِ الجسدِ
وملعقةٍ طبخٍ أنيقة.
في طُفولتي
لَمْ أَمِطِ شيئاً سوى الرِّيحِ.
عَلَّمْتُنَا الحربُ
أنَّ المطابخَ المحبوسةَ

بروائحِ الشَّوَاءِ
تُطَلُّ نوافذُها على الجحيمِ.
اللَّعْبَةُ الوحيدةُ
التي حَظِيْتُ بها كانتُ بلا رأسٍ
التقطها مُعَلِّمُ العربيةِ مِنْ مَكَبِّ القريةِ
ووضعَ عليها رأسي.
الآنَ أَعْرِفُ لماذا لا تَتَعَبُ الأَحْصَنَةُ،
لماذا تَبْدُو الأشجارُ وَدُودَةً مع الحطَّابِ
ولا تكفِ البلادُ عن الصهيلِ في دَمِي.
المَواجِعُ آلَهُةٌ استثنائيةُ
الفُؤُوسُ تَمْنَحُ حَيَواتٍ أُخرى
ومِثْلُها طَعَناتُ الأقرباءِ.
الأقرباءُ يَعْضُونَكَ مِثْلَ كَلْبٍ
ولا شيءَ أَكْثَرَ مِنْ يَدَيْكَ.
تَتَلَصَّصُ على نوافذِ النَّصِّ
تَتَحَسَّسُ في ذاكرةِ الزَّجاجِ
حكايةُ تُشَبِّهُ الصَّوءَ بِحذاءٍ مَخْلُوعٍ.
ترسُمُ قَمَراً مِنَ الوَحْشَةِ
وتَدُسُّ أَحلامَ المَساميرِ في أَقدامِ العابِرِينَ.

أَنَامِلٌ وَمُعْجَزَاتٌ تَعْجَنُ سَمَرَتَهَا
بِأَلْوَانِ الْحُقُولِ الْمُحْنَطَةِ فِي ذَاكِرَةِ الطَوَاحِينِ،
سِيرُكُ وَقِيَامَةٌ.
أَشْجَارٌ مِّنَ الطَّيْنِ
وَعَصَافِيرٌ مِّنَ الرَّمَادِ.
مَدَنٌ مِّنَ الْكَبْرِيتِ
وَقَبَائِلُ مِّنَ الْفَحْمِ.
جُزُرٌ مَّاهُولَةٌ بِالضَّجِيجِ
وَأُخْرَى مَشْلُولَةٌ بِالصَّمْتِ
تَسْبُحُ فِي نَسِيحٍ بَاهِتٍ مِّنَ الْأَلْوَانِ وَالْقَصَائِدِ.
سَاحَاتٌ لِلْحُرِّيَّةِ وَأَسْوَاقٌ لِلنَّخَاسَةِ،
لِلْمَوْتِ لِلْحُزَنِ وَكَشْكٌ وَحِيدٌ لِلْفَرَحِ.
جَبْهَاتٌ مَنَسِيَّةٌ عَلَى خُطُوطِ النَّارِ
وَمَلَاهِ مَفْتُوحَةٌ لِلْمَوْتِ.
سَاقٌ سِيَجَارَةٍ شَائِخَةٍ
يَتَقَاسِمُهَا الصُّبْيَانُ
عَلَى نَصٍّ عَائِدٍ مِّنْ جُرْحٍ قَدِيمٍ.
سَنَابِلُ مُفَخَّخَةٍ.
أَرْبَعُ أَصَابِعٍ مِّنَ الشَّمْعِ
تَحْمِلُ النَّهَارَ مِثْلَ قَوَائِمِ النُّعُوشِ
وَوَاحِدَةٌ هِيَ كُلُّ مَا يُعْجِبُنِي.

على يدي
لا شيء أكثر
من استقامتها الوسطى،
تقول كل شيء دفعة واحدة.

من زمن الحرب

«إلى عزيزي أنا»

أما بعد

أنت مفرغ وفارغ تماماً

تماماً بلا عمل،

فقط تتعلم السير على الحبال لأن الأرض تشتعل

وتتحرش بقنابل الفتيات الموقوتة في منتصف المساء

لأنك لا تجيد السباحة في النهر

فلا تُحاول أن تُواري لعنة القبيلة المطوية على

فروة رأسك بقبعات السحرة والمهرجين

فأنت مجرد شاعر يغرق بشبرٍ من العاطفة

ويختبئ كالعصافير الزرق تحت صفائر ريفية فطساء

كانت تفشل دائماً في التعامل مع صبيان الحقل

وتنجح في جمع المحصول.

بالمناسبة أعرف أنك ساذج جداً
حينما يتعلق الأمر باليعاسيب المحفورة
على ذاكرتك كالثقوب السوداء،
وأعرف كذلك أن نصوص الحب
التي تكتبها على أسوار الحدائق
وجلود النساء
مفرغة منك تماماً
وأنتك رجل من لا شيء
مع أن الأشياء كلها أنت.
قصيدة هلامية مفرغة المعنى
ارتجلتها الأقدار ذات مساءٍ حميمي نكايّةً بإبليس
فلم يعد يهتم بها أحد.

لعلمك آدم لم يكن في المكان الذي تعتقده أنت
وقبل كل هبوط عظيم هنالك صحن طائر اسمه «يوثا»
لا يطير بغير امرأة.
وهذا دليل آخر على غبائك
فأنت تخرج عن النص دوماً.
تنسى أقدامك تحت طاولة المقهى
وتركض بأناملك النحيلة فوق رقعة «الكيورد»
المتعرجة بين قذائف الموت
وأشجار الحي المثقلة بالنساء والأطفال مثل المجذوب.

أنا لست بشرياً خالصاً كما تعتقد
الحزن خان أبي ذات مساء واستغفل أُمي
وهي في حالة سكر فكنْتُ.
الحقيقة أن الشيطان يَمُتلك نصف رأسي
إحدى يديَّ لي والأخرى لا أعرف
لأي مخلوق تكون
لكنني أدرك تماماً أنه ليس أنا
فهو يعبث برقعة «الكيورد»
ويكتب الحماقات دائماً.
أعرف أن الأمر لا يتوقف على كونك أبْله فحسب
فأنت بدين بشكل يجعلني أتصور حجم الخيبات التي تتفاقم
فيك
وأنت تُحاول أن تكتب نصاً في الحب والحرب.
لم تعد تعنيك الأحلام،
الأحلام الصغيرة التي كنت تُخبئها لعصافير الماء
وأنت في رحم الغيم،
لم تعد تعنيك البلاد،
البلاد التي سحبت نفسها قبل سقوطك بلحظات
كي تقع على أرض ليست لك
ولا السلطان الذي حمل العرش إلى السوق
وعاد محملاً بالمانوليا
بالجنيات اللائي خبأن الضوء في كم الجارية

والشمس التي ستشرق في منتصف المساء
في حكاية الجدات.
فما الذي يحملك على البكاء؟
هذه اللعنات التي تبصقها في وجه القذائف
تستفز القبائل المسبحة في ملكوت الحرب
وأنت وحيد وحيد كشوكة.
وحدك من يتذكر وجه الحب
ووحذك من يلعن وجه الحرب أيضاً.
أنت فقط تجيد عنونة الأشياء
وتفشل عند أول قبلة كما تفشل تماماً عند أول طلاقة
فما الذي كنته قبل الحرب
وما الذي كنت تملكه أصلاً؟
فقط كنت تنام على الرصيف
وأصبح نظيفاً بدونك.

لعنة الكيبورد

لعنة الكيبورد تطوف في مخيلتي كنص.
مللت حبك بالطرق القديمة والأساليب البالية،
مللت حبك بكسل جميل بثينة
وخمول قيس ابن اللملوح
مللت حبك بأسلوب «روميو» ومراياه الخجولة،
مللت حبك بسيف عنزة الذي لا يقطع شيئاً
سوى حناجرنا على الورق.
الحب يا صفصافتي صار مستهلكاً
باهتاً مزيفاً،
وسيف عنزة لم يعد صالحاً
ولو سكيناً لمطبخٍ
تندر الحاجة إليه لتقطيع بصلة،

فدعيني أفتش عن طريقةٍ أحبك فيها
بعيداً عن أسوار قريتنا المأهولة بالبنادق والمتارس،
بعيداً عن قبائلنا الموصومة بسعال الليل وسلطة الصبيان،
بعيداً عن هذا الأزرق المكتظ بالأنياب
والأظافر والأقنعة.

دعيني أفتش عن طريقةٍ تكونين فيها الماء،
وأكون فيها الريح
والموج والتل والعاصفة،
طريقة أحبك فيها
بجراءة المفتي
وبراعة الذئب،
بصلابة الثلج
وثقة العوسج،

أحبك فيها بتكاثر البكتيريا
وديمومة البلهارسيا
وتوغل كورونا في جيوب الكوكب،
بأسلوب الليل
وأسلوب الغيم
وأسلوب القناديل الكهربائية في المحيطات البعيدة،
طريقة أكثر جنوناً من جماهير «البرسا»،
وأكثر توحشاً من مخالف النمر،
وأكثر غرابة من «كاميلو بارد» في أطراف الكون.

ما رأيك الآن

لو أجربُ طريقة «إمانويل ماكرون» «لبريجيت ترونو»

وأحبك فيها لبعض الوقت؟

أجد الأمر أكثر جنوناً ومحفوفاً بالمخاطر.

فخاخ بيضاء

مياه زرقاء
وأدمغة صفراء
وأخاديد مالحة
كدوائر البسكويت
نغمس هشاشتنا، خيباتنا،
نصطاد أحاديثنا أيضاً.
تقرّمْ البحر ونحن.

للبحر أن يتخلى الآن عن أبوته
الباطلة ويعتق ما تبقى من سلالة الكلام.
ولك أن تتخلى عن ضالك القديم
وتركض عارياً في الشمس،

أن تفلت لسانك في النص، وتكتب لبحرك أنت،
إنسانك «البسيط» «الكامل» بك
حزنك «المجتث» «المتقارب» منك
رصيفك «المُحدّث» «مضارعك» الغد
شارعك «الطويل» «المديد» بأسمائك أنت،
دع أسماء غيرك للريح والتف حولك كطريق جبلي
راود شيطانة الشعر تارة عن «وافر» المعنى
وتارة قشّر أناملك مرتين
ثلاثاً
أربعاً
ثماني
عشرًا، بحسب الحاجة لريش حمام أو منقار ديك
«خفيفًا»، لتعبّر نصفك المبلول
حادًا، لنقر الأصدا ف الصدئة في عيون العشب.
في البحر فخاخ بيضاء
لا تغتصب سنبلة أصغر من فكرة
ولا تزوج نفسك بظل أكبر منك بمفردتين.
حرّر علاقتك المعقدة بالنص
واغرس حوافرك البائسة في ظهر الغيب.
غداً، يسقط مغشياً على نفسه
الضلال ويظل المكان أبيض
أبيض لا يملك من اسمه مأوى.

بعد غدٍ ستقرأ نعي التنين الأخير
على لفافة نقانق يابسة،
تصدق بها عليك من مائدتك،
ولك أن تتخيل
جحافل الدببة وأسراب الخفافيش
المحتشدة في القصر.
في الخانة العاشرة من النص القادم
تختنق الحرب.

عدم

لم أُخلق بعد،
فلماذا أخشى الموت؟
المرّة الوحيدة
التي حاولت فيها الخروج من العدم
كانت من نصيب امرأة «كمحاء» اليدين
أكملت أنا إحداهما بثقتي
وأكملت هي،
الأخرى بالفقرة الوحيدة على ظهري.
المدى أقصر مني
والأفق لا يتجاوز سقف صفيحتي الصدئة في أسفل الحي
فلماذا أخاف السقوط؟

تحت أحداق «الكلاشينكوف» شارع عار
تقول جارتنا
وأماكن ملغومة بنوايا الموت.
لا تعبر الشارع،
الحرب بوابتك الوحيدة للعدم،
إذن سأعبر الآن
طالما تلك الأماكن
ونصف الشارع ملكي
عبرت ولم يشفع لي شتات قميصي الوردي
ولا أحذيتي المبتورة.
في الأمس تحديداً بعد سقوط الليل في ضمائر السلطات بدقائق،
وشتُ بنا أضواء السيارة لوحش في التلةِ المقابلة.
التهمت قذيفته كتف الرصيف
وشيئاً من رأس صديقي.
صديقي سيكون بخير
لكنه سيعيش بلا وجه تماماً
كهذه المدينة.

كافٍ سنس

«رغوة البن واللبن»
قبل أن يبتكر الله الأرض،
أن تمر فكرتها على خاطره البديع،
أن يُلهم نفسه بصياغتها على مسرح الوجود
كانت امرأةً تسبح كاملة في مخيلة الماء،
ونصف رجلٍ يتلوى في مستقبل الدخان
قبل ذلك
ذلك، الموغل في العدمية
ذلك، اللا شيء
ذلك، كله،
كانت القهوة.
ترضع سمرتها من نقطةٍ مجهولة سابقة الأزل.

وكان النص يرشح بفكرة ما،
ويُهيئ نفسه للانفجار.
دعيني أخبرك شيئاً
على ألا تُربك مخارج الماء
أو نلسع هشاشة المسرى
بين إبريق زجاجي وصينية عادية.
لا أدري كيف تشرّبين أحاديث الطبيعة،
مرة وثقيلة مثلي
أم بحسب قوامك
حلوة ومعتدلة؟!
عموماً ما سأقدمه ليس مدهشاً عل كل حال.
ليس للقهوة فكرة عن الموت.
الموت ضجيج لوجود آخر،
لحنين آخر
يتغشى في دهشة الأبد.
الأبد، فلسفة معقدة
يدُ امرأة، مزاجها البن،
الماء، والنار،
تلوح لاكتمال الوعي على مصطبة العدم.
العدم، رسالة مجهولة،
عن إله يتودد لبديع لوحاته بحاضرة الألوان،
ويتوعدها بالجحيم.

الجحيم، نحن نحبس أناملنا عن الكتابة،
خيياتنا، عن التثاؤب،
أنفاسنا عن الفناجين النائحة في دهشة الشمس،
ولا نسمع في روائحها شهقة المساء،
المساء، تشوه أبدي، دمة سمراء،
في عيون الأسلاف المشتعلة في السديم.
السديم، قلب رجل بلا امرأة.
امرأة، تُعد قهوتها لتكتمل،
تسقط في فقاعتها كفراشة رمادية
وتقرأ طالعك الأخير.

في الشارع العام
مئة خمس نحنحات خضر، وخمس قصائد،
تتشاءب الآن.
سطوح شعبية وقبعات ملونة،
أغطية، وعلب بالية،
حجارة وعوازل إسفلتية
تتطاير الآن.
مئة رصيف ثمل
أبراج سكنية،
أعشاش قديمة،
أعمدة صدئة ومصقولة

تنحني الآن.

بعد قليل صينية كئيبة بلا معنى
إسفنجة مبلولة بلا رائحة،
 وخمس نوافذ خلفية
ثمة... وخمسة لصوص.
كل شيء قد يحدث،
كما لو تحلق الأشجار عارية،
وتبني أعشاشها على بقايا عصفور قديم بلا ريش.
يحدث أن تنمو شجرة في مخيلة البحر،
أن تغلف الشمس بعجينة الظهيرة
وتسوقها في مربعات ثلجية.

يحدث أن يتلون إدمانك الأسمر
أن تطفو البوارج في رغبة البن واللبن
أن يبتلعك طوربيد متوحش في حبة هيل
ضئيلة وضامرة،
وتفقد أناملك في مقابض الفخار.
يحدث أن تصادف حورية خرافية في قنينة نפט
عالية، وكثيفة
أن تفرغ نفسك الفارغة أصلاً منك
وتملؤها بالحماقات.

ويحدث،

ي

ح

د

ث

وتطلب قهوتك من سمكة.

حسناً!

أنت لا تملك الوعي.

وهي أيضاً تصرخ كلما شعرت بوخزة البحر.

دع النواقيس مطوية على نفسها

وانفتح كغبار نجمي.

الرمز ناقوس متطرف

وأنت آخر نقطة في نونية الكون.

أعيد تشكيلك الآن.

بحر

بحران

ثلاثة؟

ليس للقهوة فكرة

عن أول الوعي، يمخر رغوتها

بضلع أعوج

ويملاً فراغها، بنصف ضوء ونصف عقل.

ممتلئ بالغياب

حتى اللحظة
لا شيء يُثير اهتمام النوارس
القصاصد النافقة والحيتان المهترئة
والأسماك الغريبة
ذوات المناشير الحادة
والبطون المفتوحة تستلقي بائسة
بلا معنى في الشاطئ.
على أحدهم أن يقوم بدفن هذه النفايات،
وعليّ أن أعترف
أنني المتسبب بهذه القيامة.
مجرد حادث في الأمس،
حيث استلطفْتُ موجة صغيرة،

بحجم دمة تمساح شاذ،
ظن بأنه دلفين ما فانكمش في الملح.
لا أدري ما الذي حدث تماماً
غير أنني لم أتعمد النفخ في البوق.
الوقت لا زال مبكراً لأطوي أجنحة الكون.
هي فقط راودتني
وحين ارتطمتُ بتموجها الساحر
تسرب من ذاكرتي شيء منك.
هكذا فقدت وطني على أحداقك،
وهكذا منحت نفسي صكاً مفتوحاً للهروب،
مع أن أجنحتي تود لو
تفلت إنساني المرهق
على أي مسام منك لتستريح.
أنا مضطربٌ تماماً،
كهذا الرد المتعرج على نافذة الحرب،
كهذا البوح المختنق في حنجرة الأغاني
كهذا الأزرق المتكبر المعتوه وهو يتجشأ
فضلاته عليك ولا يعي
معنى أن تكوني وطناً أو مكاناً للصلاة.
لا شيء يبدو كالأمس.
الأحلام غدت مجرد أضحوكة
تستحم بها الشعوب.

والشعر مجرد عواء غير قبل للشعور المحض
والأحاسيس الخالدة.

لا حاجة لي بجناح إضافي هش
ولا حاجة لك بمواطنتي.
لم أعد أزاول مهنة العزف
على كمنجة المواسم وذرف الدموع
وإن حاولت كبج جماحي
أبحث عن قصيدي المخدوعة فيك
لأصفعها مرتين.

إنني أحبك الآن أكثر من أي وقت مضى
لكن عينيك اللتين أدمنت فيهما مهنة البوح
لم يعد رصاصهما يفزع أحلامي
ولم يعد تربطهما بالنص أية علاقة.
فما حاجتك لمواطن فارغ منك
وممتلئ بالغياب؟

جنس الناي

أود لو أكتب نصاً

لا تهزمني فيه رائحة البارود

ولا تأكلني فيه الشوارع والليالي الباردة،

نصاً ولو لمرة واحدة في عمر أنا ملي

نصاً بماء الورد يسقطني كجين متفرد

لجنس الناي وأسلاف الموسيقى.

مللتُ الكتابة بالدم والدمع

ومللتُ هزائمي.

أود لو أكتب نصاً

واحداً يا الله

ينبذني في العراء ليتسنى شكرك

في مساحات الرضا
بدلاً من وقوفي نازفاً ثائراً رافضاً باكياً
شاكياً على بابك،
نصاً بلا مؤثرات
بلا مجاز
بلا انزياح
بلا عقد،
أبيض، نقياً، واضحاً مثلك،
نصاً يُعيد لي الموجات الصوتية
لكلماتك الأولى،
لطينين أناملك على جسد الصفصاف
وأنت تخلقني من العدم،
نصاً بأي لسان وأي شكل تريد،
في شتلة يتيمة تحبو إلى فناء منزلنا
وتستلقي في الشمس،
في شجرة حلوب في الوادي،
في حقيبة طفل ذاهبٍ أو عائدٍ من مستقبله البعيد/القريب،
في سور حديقة مزهرة بغدٍ مكتظ بي وبك،
في عيون الباعة، في بضائعهم البسيطة
وبساطتهم الودودة،
في تخمة الرصيف وأناقة المتجولين.

أود أن أكتب نصاً
يفلتنني من أمعاء الحرب مبلولاً بكل قذارتها
ويرمي بي في غسالة أُمي،
غسالة أُمي يا الله!
إنها لا تعمل منذ ربع قرن
فهل ستسألني لماذا؟!
وأنت تعلم أنها لا تدور في العتمة،
ونحن هناك في إبط شارع كسول،
وفم دبابة جائعة.
نلحق عتمة النهار
وعتمة الحي
وعتمة النص.
سئمت قراءة القذائف
وتصفح الأشلاء.
مللتُ، مللت الكتابة بالدم والدمع
ومللت هزأُمي
أود أن أكتب نصاً لحبييتي.

مكالمة من عمق الريح

الاتصال السريع لم يعد سريعاً بما يكفي
تسعة أرقام هي:
مجمل المفردات في لغة الضوء،
مجمل النوتات الجامحة لفوضوية النظام
اللامتناهي في موسيقا الكون،
مجمل العناصر الشاردة في مخيلة السديم.
كلما تعلق الأمر بك،
صارت المعادلات والأرقام مجرد مزحة.
الفيزياء المتناقضة لا تتناسب طرذاً
مع تواجدك في قائمة الأسماء.
وحدها لوحة «المفاتيح» من يحمل شهقات النهار
وحدها من يجيد التسلق على أناملي التسع.

دائماً هنالك إصبع عاشرة
تنشر قلقي على حبال صوتك وتختصر الكون كله
في ثقب صغير أسفل الهاتف.

شباط

لم أكن نبياً.
المعجزات كانت تحتشد جميعها
في جيب شيطان في الجهة المقابلة،
الجهة المقابلة كانت نحن.
جميعنا جذوة النار
عرضة للريح
مدنٌ يخلها الماء،
الماء أكثر قسوة من اللهب،
اللهب ينساب تحت أقدام البسطاء كبساط سحري.
لم يعد من جسد الجنية التي واعدت آلهة الرقص
غير خصر متفحم ورماد يعوي.
أنا في البيت الآن

الشارع يركض في فمي كأفعى،
شارع بلا خطى
خطى بلا مدى،
تمتمة في السوق
أصوات تخرج من أسنان الباعة
وتدخل في أقدام المتسولين،
إنه صباح عيد الحرية.
تثملني لكنه الجلاد يهنئ شعبه الميت.
في البيت الآن
المقهى زاوية وحيدة لا تتسع لتمثيل جرد،
التهاتف يطغى،
الطريق ينكسر،
الطريق المستقيم بحدة للأعلى.
ليس للطريق أجنحة،
الطريق وهم.
عكاز تحمله الطاولة،
مسمار في الحائط
واضح لا يراه أحد.
في البيت الآن
أفتح باب المدينة
من صوت غراب عابس
من رأس وسواس يُضيء عتمتها بالضلال،

الغربان ليست سيئة.
حمام خضر وقعت في عزاءٍ أبدي،
أدخل كدودة مطرية
تتسكع في بطن عصفور شائك.
الأنحاء نهود مدارية
سجائر شرطيٍّ مدولب
تمثال يتجول بآلاف النسخ لجنديٍّ مجهول
حلم ثمين لرصاصة طائشة.
أنت شهيد،
قطارٌ أضاع مؤخرته في رأسي.
أين تتجه؟
في البيت الآن
شبحٌ خُلف مقود ذبابة
سرب حشرات ملونة في طابور مفتوح
أراقب عامل المحطة
بهدوء النوارس العالقة في «الجراف»
بنهدة بجع طويلة
بفرحة وعل زاهد بعري العيد
بشهقة غملة بالفتات
بقلق الصخور الواقعة من علو.
قافلة الحنين تتحرك في الانقراض
قناقد فزعة.

ليس في جيبي ما يكفي لأكثر من قذارة واحدة.
أضعت محفظتي.

أنت أيضاً سقط وجهك في هوة سحيقة،

بائعة الخضار لها عينان مبهرتان

أقل قيمة من بضاعتها الكاسدة.

العداد لا يعمل جيداً.

للرصيف أيضاً صورة بشعة

قطعة تطعم هرما البائس

وليلٌ يضج.

عفواً!

كان النهار غالباً

وغالباً أنت، غالباً كهذه البلاد

لا نعرف غير مؤخرتها القبيحة

غير أن نتناول خيابتنا تحت شعرها الطويل.

ذفك المومن التقي الوارف:

ثلاث ظلال حمر لحماقة واحدة.

أيها الليل امنحني فرصة أفر إليها من لهيب شمسك،

أيها البر امنحني قطعة بحر أنجو بها من عنف أجاجك،

أيتها السماء امنحيني خطيئة بنصف تفاحة أخرى أستحق عليها
الهبوط إليك.

أيها الغد القادم

من الأرق البعيد

من هدهدات الحكايات الغبية

من قلق الرفوف القديمة
تربك الصمت
تغتال شجون الريح
تملأ جيوب المسافات
قصائد بلا معنى
تأنس إلى سرب الحصى
وتنوء بفلسفة الجوع
بتنهيدات الحداثق
بلهفة ظمأ المدينة
ترضع من شجر الحنين دماً أزرق.
ترتجف من نبأ الخطيئة
من رتابة الرؤى،
من نوافذ المجاز.
كيف لي أن أتسلق جبال الموضع وحدي
وأطوي ألف شتاء من البكاء
أمام صيف كلماتك؟
أيها الرب،
كبير كما أنت، كثير كما ينبغي،
سبق وطلبت منك الكثير:
السقف أقصر من دخان سجائري
لم أعد أرغب في شيء
فقط أخبر السجان.

دموع كثيرة لعيد واحد

أنفاقٌ ملتوية

بين تسابيح الملبّين

وأعناق الأضاحي،

سكاكين متعبة.

*

الحناجر الطويلة تُرهق النص.

*

من تحت وسادة الصيف تخرج يرقات ملونة.

إلى أن تطير يختنق أيلول

بطوابير النمل

وتبدأ جدلية الفتوى

تفقد لمعتها وتسقط

الفراشات كفتات خبزٍ مُحْنَط.

*

فوق أقدامنا أفق رمليّ

تتشاركه الحوَّامات والقذائف وبنات آوى.

وحدها تفرك أقدامها بحرقة،

تضع بيوضها في مراكز تحديد النسل،

العصافير... وتركض عارية.

*

تحت أعناقنا درب واضح.

نركض عليه برؤوسنا.

السَّماء أيضاً طريقٌ إسفلتي أزرق.

*

تشهق بحنكة وهي تجفّف لعاب المسافات.

وتغوص وحيدةً في الرَّمَل.

الجداول الطويلة... لقد جفّ النّبع.

*

لمدخل العمارة

نوايا سيئة.

دائماً تُداهمني، تسلق الفرح.

دائماً أحاول
ودائماً أسقط في الدّرجة الثانية
من سلّم الأضحى.

*

كصعق كهربائيّ،
دائماً تتلقفني،
وتفلت أطفالها في رأسي
يدّ من خلف بوّابة الموت.

*

في رأسي
أحلام كثيرة،
مشغل فخم.
ملاحم تعدو كوبرٍ مُغرٍ.
أرواح تنساب كقماشٍ صارخٍ
وأطفال عراة.

*

لأنه دائماً يسقط للأعلى
لم تكن روحه كنزة مناسبة
لمخلوق من العدم.
يجترّها بعينين حقودتين
وجسدٍ متهالك.

لقد استغرق الأمر ما يكفي

ما يكفي ليعود الصدى.

الأسمر المتساقط في ملامحنا

أبي إنه يشع الآن.

*

شعراء،

نُرهق الحبر في رسم ابتسامةٍ كاذبة،

نخذل النَّصّ، في كتابة أشياء لا تعنينا.

غالباً ما ننسى

غالباً ما نستهلك أناملنا كذاكرةٍ مؤقتة.

عليها ألا تنسى

أن تتذكّر

أن ترسل لك واحدة من مواعبي المغلفةِ

بالحنين وأوراق الهدايا.

أن تُخبرك كالعادة

أنّك أجمل أعيادي وأني سعيد جداً بحضورك.

أصابعي عليها أن تكذب.

*

من يسحق مناسبة كتلك

ولا يربطها بحبل من خياله

لا أدري إن كان له خيال.

ما أعرفه أنَّ الجبل يتمدّد بكثافة
كلّما توهّم.

المجنون؟

إنه أهدى شيئاً لنفسه في السّماء
وراح يُخلّق كطائرةٍ ورقيةً.

*

يبدو الأمر طبيعياً.

لا شيء يدعو للقلق.

تجاوزنا قيامة العيد

وعدنا كسالف العهد

نتساقط في حفر الموتى.

كيف حالك الآن؟

أكوام الطين

وأنا أطارد الكلمات
أرسم بحراً صغيراً بالكاد يكفي لتقع عليه دموع الريح
أرسم شمساً غارقة بالكحل والدمع
أرسم قمرين حزينين مثلي
أرسم نافورة قزحية وبئراً معطلة بالكاد تتسع لي
وأمحو ذاكرتي كي لا أقصص رؤيائي على أحد.
أيتها المتخمة بالضوء
بين آلاف الحاضرات،
المسكونة بخيوط الشفق
الفواحة بنكهة التفاح
الصاخبة بحركة البحر وأنفاس الموسيقى
تحت جوانحك ترقص شجيرات الروح

تهجر الكآبة
تخترق جدران الحزن
فتشع كنجمة على سفوح القلب.
لا يحدث أن لا أشتاق اليك
لكني مجبولاً على الصمت،
مذ وقعتُ في أعناق النصوص الطويلة
تعلمت كيف أحتوي ضجيج أناملي.
للغياب حموضة كتلك التي يدفعها
شجر الليمون نحو البحر
ولي قبلتان أدفعهما فوق قباب الليل شهقتين.
من مخاض البدايات
توقد خصوبة الحياة.
لأجلكِ نازعت السنين طويلاً
ولأجلكِ أسلمت الروح
ولأجلكِ سوف أتمدد في حناجر الغد كناي بهيج.
كلما كَبُرْتُ كَبُرَتْ معي توهجات قلبك
كبرت ذبذبات القصائد
كبرت المدينة،
وتساقط عباب الليل.
أيتها العابقة بالحلم
المضرجة بنسخ الماء
لا تُخفي حنانك في شقوق المساءات القديمة،

دعيني أفتش فوق جناحك جنوبي
وأغسل أكوام الطين.

ديستوبيا

حينما تُباغتني الفكرة
أدخل مع النص في عراقٍ مريع
ينتهي بصلب أحدنا على شوارع المدينة.
للمدينة يدٌ في ذلك،
الديستوبيا المتورمة بالكثير من الجثث والأشلاء
تُساند النص
تود لو تفرخ الفكرة
بالعديد من التوابيت والشقوق العميقة،
وأنا وحيد.
أود لو تنمو كرسالة حب عاجلة إلى أمي.
أمي!
من منكم يعرف أمي؟

هذه البلاد لم تكن أمّاً لأحد.
أحدٌ ما يجلس منذ زمن بعيد فيما يشبه الحوانيت القديمة
ينتظر امرأة لا يعرفها
أوفكرة ما
تليق بتوزيع المنامات الصفراء على الوسائد.

ثغور النيات

أنا بخير،

حُبوب «الأسبرين» التي تبتلعني بشكلٍ يوميٍّ
وأقراص الـ«بلافيكس» والـ«زيروستات» أيضاً بخير.

لا أعاني من شيء،

فقط قلبٌ مَفْتُوحٌ

سُدَّتْ شرايئُهُ بزحمةِ الأصدقاء.

بخيرٍ تماماً

آخرَ كل شهرٍ يجبُ أن أتوسَّلَ إلى أحدهم
لأظَلَّ كذلك.

على أحدهم أن يَتَنَحَّى قليلاً.

ماذا عنك؟

الطَّهر النَّابِضُ في مهرجان العشب.

كيف الكحلّ المتجوّل في أحداقِ الماء،
الحرف المتورّد على أناملِ النَّهار،
كيف الرّسائل التي تتفتح على أطراف أصابعك اليوم؟
آخر مرّة رأيتُ المساء حزيناً في عينيك
التّبض الأبيض يغرق باكراً في رمادية الوسائد،
والضّوء منكسراً بين أناملك بكسوف أحمر.

آخر مرّة شعرتُ كأنّ الصّباب يغشاني
كأنّي ارتطمتُ بزجاجةٍ عملاقةٍ من البلّور
كأنّي على شظايا الرّجاج المتناثرِ
أتسلّلُ جلسةً إلى نفسي
أطلُّ بألف وجهٍ من حطام المرايا
أتلصّص على ملامحي العارية
أتحرّش بأحزاني
بألف وجهٍ
وأقرأ أعماقي المتطايّرة في عينيكِ
بألف لسان.
تحضري عيناك
بملحمة أطول من مساحة الحزن بيني وبينك
تارةً تهطلين كفكرةٍ نقيّةٍ مع المساء،
وتارةً تتسخين بأوجاعي وأحلامي الكاذبة.

آخر مرةٍ اقتحمتِ
شريط حياتي،
السيناريو المجهول
لفيلم أيامي البائسة
وأتقنتِ دور البطلِ اليمنيِّ البائس.
لم أَشأْ أن تكوني أنا تلك اللحظة
لكني كنت محطماً
ووددت أن أرى كيف يبدو حطامي
في نصفه الآخر.
أما الآن،
-ولا أعني بالآن محاصرة الوقت-
بين جمجمتين في قعر النَّفق.
أيضاً لا أعني بك شيئاً
عدا مسافة الضوء بيننا وبين السماء.
قناني الحزن لا تليق بك
غادري براويزنا الثَّالفة
المغادرة ممكنة.
تتبعي ملامحكِ
أحلامكِ
إنسانكِ
في أيّة مدينةٍ أخرى.
بعيداً عن هذه «الإبوليا»،

مدينة لا تعلو أطول مآذنها على مستوى خلخالك،
مدينة لا تبني قبابها منذ آلاف السنين
لتسقطها بشكل يومي كقنواتٍ من الرّوث والفضّة
على ثغور النّيات.

في أيّة بلاد غير هذه «البروسوديا»
التي تخنقنا في حبسة الكلام،
بلادٌ تصنع من قصاصة ظفرك وكعب حذاءك القديم
معالمَ مقدّسة،
بلادٌ ترى في خطوط يديك أقدم وأعظم الحضارات
بلادٌ تعتقد

أنّ الوصول إلى قمّة نهديك سيعني اجتياز الزّمن
وأنّ ضفائرِك المسافرة في الرّيح
ضمانها الوحيد للوصول إلى المستقبل.

اللون الأسمر المتساقط في ملامحنا
خلق مشوّهاً
سربٌ من السّردين النّافق،
مُخلّفاتٌ جينيّةٌ لمصانع الكون البعيدة
ادفنيها الآن.

الآن، في أعرق مسام في وجوهنا وانصر في
انصر في كنسمة وقعت بالخطأ على شجرة يابسة
كقطرة غيثٍ وقعت دون قصدٍ

على محيطٍ مالِح
لا أودُّ أن أصادفَكَ مرَّةً أخرى
إنَّ حزنَكَ هذه المرَّة
سيقْتُلُنِي، سيُضَيِّفُ لِمَوْتِي
موتاً آخر.

الشاعر غابَةٌ موحشة
يعلِكها خطاب ليلي.
الفكرة مصابَةٌ بالزكام.
الأصابع تعطس كثيراً
تتناول النصوص كمناديل ورقية!

كأسراب النمل
تحتشد كان وأخواتها على خاصرة النصّ
تلبس الماضي كنزة المستقبل
وتركض نون النسوة بشاربٍ
أكثر رجولة من واو الجماعة.
بين السبابة والإبهام
جلبة عارية
قبائل المفردات معارك ضارية.
لغة السيف ولغة الجسد.

في النهاية تخرج القصيدة بإعاقه بصرية

ويبتلعها لغم في الجهة المقابلة.

يا الله!

ما الذي يدفع بالمرء

تحت أي سبب ليكون شاعراً،

شاعراً يتضوّر لنصّ وامرأة،

نصّ يختزل فيه المجاز،

امرأة يعلقها مكان الساعة التي توقّفت منذ أمد بعيد،

ويستبدل عقاربها بأنامله؟

شاعرة تفتش عن رجلٍ للنصّ

عن دواسة أخرى في سلّم الكلمات

وعن مفردة بعينين زرقاوين.

أتدريين؟

قبل أيام -الأيام التي لا تعني تكتكة البندول على الحائط القديم-

كانت حركة الساعة كسولة جداً

الجرم الذي وقف بيني وبينني

أصابها بالخمول الأبدي،

شعرت أن الجميع يُصلي لأجلي.

لا أدري لماذا تخيلت وقتها أن الله سيُفاجئني

بقبلة خاطفة إكراماً لهم!

لم أعد أقف على سَلَم الكلمات
تجاوزته بنصٍّ آخر
مطرقةً واحدة
وخمسهُ مسامير.
هربتُ من زلزلة المساء
واختبأتُ بين أنامل فتاة ما
كنت أعلم أنَّ العتمة لا ترى في الضوء
وأنَّ الواقف عند يديها
يتجرّد من لهاث الجسد
ويتحوّل إلى شيئين
إمّا شاعرٍ أو سنبلّة.
دع الفروقات توسد خاطرة الماء،
لا أحد غيرك سيخبر البحر
أني لم أعد مؤمناً بفوضوية الشتات
وأنّي أستقر بك وانتهت رحلته بالعثور عليك.
أيها النصّ،
عد إلى ربّك الآن وأخبره
أنّ النصوص التي تُكتب لي
تتنزّل بطعم المطر
ورائحة البحر
عاصفةً مضطربةً بجنوني
عاريةً مدثرة بلوني القمحي

سمراء كملاعبي في البادية.

أخبره أن هذا البناء المتداعي،

المختلّ

المتناقض

لا يُشبه بضاعتي المزجاة في أنف العير

لا يُشبه قميصي المرتبك في دبر القصر

لا يُشبه الغيمة التي رتّبها الغيابُ

على طفولتي الملقاة في الجبّ،

وأنتُ أكثر شبهاً

بإخوتي الواجمين على صواعي الملك

كذباب المنفى.

أخبره أن النصوص التي تُكتب لي

تعصرُ خمراً

ويتخطّف رأسها الطير

وتدعوني في النهاية لتأويل رؤيا الملك،

وتمنحني صكاً مباشراً على خزائن الأرض.

أخبره أنك لست بمقاسي،

وأنّ لون قميصي مزرّق

في النهاية، لا احمرارَ يستبق الذئب

وما من أبٍ تفيض عيناه.

هكذا يشي الدلو الذي حملني
إلى سوق الرِّقِّ
وباعني بثمان بخس.
أخبره أنني لم أخنه في الغيب
وأنتك مجرد إعادة محضة
لارتباك اللعنة،
افتراء خادش في وجه البراءة المحمودّة
«بناب وظفر»
واسأله ما بال اللاتي قطعن أيديهنَّ
شغفاً بالتفاحة؟
أنت لا تُدرك أنّ قلبي يتمدّد في حضورك.
لا تدري كم تتّسع أحداقي
حينها أكون قيد انتظار اللحظة
التي أفقد فيها كلّ وقاري
وأنت تُمارس حقّك بالتمدّد على خريطة قلبي،
أشعر أنّ البحر يفيض،
يفيض ليغمر عتمة اليابسة
بأسماك الماندارين الكهرمائية
ويُغرق أرصفتي المصابة برمادية البارود
بقبائله الملوّنة
ويُبلّني بالطهر.

أشعر أن المسافات تُطوى
وأن الطريق بيني وبين النهار مجرد قبة خاطفة.
وأنت تُمارس حقك في التمدن على أرياف روحي،
أشعر أن السماء تقترب
وتنضغط بطريقة فيزيائية معقدة،
إلى أن تصير
بحجم قبعة كلاسيكية زرقاء،
للحظة يُخيل إليّ أنني أرتديها فأرفعها إجلالاً لك.
وأنت
وأنت
وأنت... أشعر أنني سأنجو،
وأن البلاد المختنقة بغبار الموت وفوضوية البنادق
ستنجو أيضاً.

أنت، يا صباغة الجيتار المحفوف بلغة الأشجار
ومفردات الضوء،
يا رجفة الماء الهارب من رشح الآلهة
في اليوم السابع من خلق الكون.
كيف تكون هنا ولا أجدني فيك؟
كيف تكون هنا
ولا أنتبه لكل هذه الأحداث والمتغيرات المختلفة
من فصلٍ لآخر؟

كيف تكون هنا
ولا تنتشلي من أنقاض القلق المتردي
على كتفي البارحة؟
في الأمس
كنت متغيباً عن مهرجان حضورك!
كنت غارقاً بآهات الأرامل وشهقات اليتامى.
حملت المئات من الجثث المتخثرة
بين تماس البنادق
وأطعمتها الأرض،
تنفست الكثير من الغبار والبارود،
شربت الكثير من المواجه.
القنابل الدخانية ما تزال تخنقني
وتنفخ في طريقي كتلاً ضبابية
من مقامات الفلفل.

يا الله كم أنا محتاج إلى المغفرة!
كم أنا آسف جداً!
لأني انشغلت بملامح الموت عنك،
لأني تشظيْتُ بين القذائف دونك،
لأني بكيت البلاد ودونك، أيّ بلاد؟!
في الأمس

كان المفتي وما يزال يجلس على فمي

يبول على ذاكرتي كالعادة،

يرسم بدمي

الكثير من الخطط للوصول إلى الجنة.

الجماعات والقبائل المتناحرة

جمعت تلايبيها لتحدد مصيرها على كتفي

بمعركة للأسف

لم تكن فاصلة إلا بيني وبينك،

ولم تكن الأخيرة أيضاً.

ستعذرني

فلم يعد لكيلنا وطنٌ نأوي إليه

عدا هذا الخيط الممتد بيننا.

معاً نحتطبُ أيامنا

مع الطلح والصُّبار،

نطهو خيبتنا

على ضوءٍ مُعتم.

ونُقيمُ عليها وليمة فاخرةً في المساء.

لأربعينَ عقوبة ربّما

أو لسبعينَ قصيدة

لا أدري كم نحن الآن!

بعد طنين أناملنا على رقعة الكيبورد.

أو بحجم انتشارنا على ضفاف الوجع؟!

معاً ولم نتقابل قط!

حكاية الأرواح الطائرة
والإيمان بفكرة ائتلافها
خارج نطاق الحقل.
جرمة يُعاقب عليها غربان الوادي.
لم تعد مجدية
في إسكات جوع السنابل.
ستُدرِك لاحقاً
أنّها تسَلَّت منذ اللعبة الأولى لهذا الأزرق اللعين،
لتقرأ ما وراء النافذة،
فصفعها الساسة وركلتها دُور الإفتاء
لتعيّ ماهية العواء في شجون الريح،
فحرمتها القذائف من حقّها
في التمدّد
ماهية الألوان في سهيل المسافات
فرجمتها الأوبئة بوحشٍ
متجوّل حال بينها وبين عواملها
المكتظة بكلّ هؤلاء،
إلاً منّي ومنك!
الأرواحُ تتبَخَّرُ بكثافة
فلا تَمُتْ
قبلَ أن تمنحني نشوة الجلوسِ إليك
أن ترتدي نصف هويّتي

وَتُعِيرَنِي نَصْفَ وَجْهِكَ.
 حَاوُلْ أَلَّا تَتْرَكَنِي أَتَبَخَّرَ
 وَحِيداً كَيْلَا أَسْتَدْعِيكَ عَنوَةً
 مَنْ الْأَعْلَى فَتَصْعَدَ عَارِياً بِلَا نَصٍّ.
 عَلَى أَحَدِنَا أَنْ يَذْهَبَ
 لِيُكْمَلَ دَائِرَةُ الضَّوِّءِ.
 وَعَلَى الْآخَرِ
 أَنْ يَتَخَفَّى فِي الظِّلِّ
 كِي يَسْتَقْبَلَ الْعِزَاءِ.
 لَا أَدْرِي أَيُّنَا حَسَبَ مَهَامِّ كُورُونَا،
 سَيُقَاضِي السَّمَاءَ أَوَّلًا؟
 لَا تَكُنْ أَبْلَهَ
 لَقَدْ تَلَقَّيْتُ مِنَ الصَّدَمَاتِ مَا يَكْفِي
 لَتَتَعَلَّمَ وَإِنْ كُنْتُ حَجَرًا.
 كَفَّ عَنِ التَّعَلُّقِ بِسِوَاكَ.
 كَفَّ عَنِ الرِّكْضِ خَلْفَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَشْتَاقُ إِلَيْهِمْ
 تَحْتَ أَيِّ دَاعٍ كَانَ،
 مَنْ يَرِيدُكَ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ إِلَيْكَ.
 أَقْلَقْ لِأَجْلِكَ أَنْتَ
 لَغِيَابِكَ عَنْ نَفْسِكَ،
 لَتَحْسُسَ أَنَا مَلِكُ مِنْ مَرِيعَاتِ الْأَبْجَدِيَةِ عَلَى رَقْعَةِ الْكَيْبُورِ
 وَانْحَسَارِ عِلَاقَتِكَ الْحَمِيمَةِ بِالنَّصِّ.

اربط حواسك بحرص حول ذواتك،

استدر الآن واركض

نحو دواخلك البعيدة.

إلى ماذا نحتاج

لنُمارس الشعر والرقص والموسيقى؟

ما زال طعم الشوكولاتة عالقاً بفمي.

الكتب والمقاعد دافئة.

الطريق من وإلى المدرسة،

والساعات المسروقة من حقيبة المساء

في كتابة الواجب،

ما زالت دافئة أيضاً.

عقارب الساعة قد تتوقّف

لكنّ الزمان لا يفعل ذلك،

الأحداث العاطفية تُوقف دوران الأرض

وتُجبر الأشياء في دواخلنا أن تشيخ

لقليل من الهدوء

قليل من الحرية

قليل من السلام

وزاوية صغيرة في أطراف الوطن المحترق

نبنّي عليها نواديّ من الثلج؟!

أبداً

فقط أن ينام الساسة

أن ينموَ الورد على شفاهِ الجماعاتِ

وتردم السماء.

للمسامير أيضاً

أحلام وأمنيات مثلنا تماماً

ومثلنا أيضاً قد تتصدى وتأكلها الريح.

يُذهلني هذا التصوّر

على الأقل في بلادنا

عدا ذلك فهم دائماً مشغولون بحمل أشياء جميلة

على حائط ما،

أو باحتضان شجرة.

كثيرةً هي الأشجار التي تعتقد الفأس والمنشار

«عزرائيل» الخاص بالكائنات الخضراء

ومع أن الرهبة واحدة،

لا نجد شجراً يقع

من هول الموت!

للقوع هناك فلسفة لا يُدركها

الفأس والحطّاب،

إيمانٌ محض

بتراجيديا الوقوف الطويل

في محاريب الربّ.

كُلِّ مكان تقف فيه شجرة
مسجدٌ وبيت صلاة.
تعرف يا وكيل
الأشجار تبصق في وجه الموت مراراً وتكراراً
تعلمه قبل وقوعها بلحظات
بأنَّ لوقوفها وسقوطها ثمناً في الآخرة.
الأشجار أكثر إيماناً منَّا في هذا الجانب،
الأشجار على موعد أزلي
وليس من طريق غير الموت يفضي إليه.
غداً يبعثها الله،
مع تلك الأشواك المعدنية،
وتخرج من الأحداث على شكل رفوف وطاولات،
أبواب ونوافذ،
صناديق وأشياء كثيرة أنيقة وجميلة.
أعتقد أنك تستشعر الحدث
توافقني الإيمان والقول
إنه ما من نعيمٍ أكثر
وفرة وحميمية من هذا العناق الأبدي.
وأعتقد أيضاً
أنَّ الأمر بالنسبة لكلينا
لم يعد مجرد افتراضٍ أو هذيان محض.
نعلم أن الأمور قد تحدث

وَأَنَّ الحَيَاةَ كَانَتْ مَجْرَدَ فِكْرَةٍ.
حَسَنًا، لِلْعُبُورِ ثَمَنَ الْقِيَامَةِ،
وَالْعَابِرُونَ عَلَى رُؤُوسِنَا بِأَقْدَامٍ مِنَ الزَّفْتِ
يُظَنُّونَ أَنَّ قُلُوبَهَا الْمُدَبَّيَّةَ وَغَرَامِيَاتُهَا بِالْأَشْجَارِ
مَجْرَدَ حَقِيقَةٍ مَجَازِيَةٍ أَحْدَثْتُهَا
انْزِيَا حَاتِ النَّصِّ
مَعَ أَنَّهَا تَحْدُثُ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ
فِي بِلَادِ اللَّهِ طَبْعًا
فَمَاذَا عَنْ هُنَا؟
أَبَدًا، طَالَمَا وَنَحْنُ
لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَ شَيْئًا مَكْتَمَلًا فِي هَذَا الدَّرَبِ
وَلَيْسَ لَدَيْنَا مَا نَأْكُلُهُ
فَلِمَاذَا نَتَأَخَّرُ عَنْ خِدْمَةِ الْمَسَامِيرِ؟

1 يوليو

حينما أراد الله أن يخلقنا أمر ملائكته بالتحرش بحبال الكمنجات فكنا.

الثامنة من ليل الحرب
والحب لا يزال متقدماً
يُضاحك تحت الأنقاض نشوة المدينة
ويستحم بالبكاء،
ربما يدلُّه أثر الدمع على بابٍ جديد.

نحن الذين
خدرتهم الحرب
أسقطتهم في اللا حواس

نحنس بانفعال
لنغم ما

يتلوى بأجنحة الحلم
يفتتحُ متاحف الحزن
يثقب جماجمنا بأسنان البكاء.

لا طعم لمدنٍ بلا لحن
شجر بلا عصافير
وباصات بلا أغاني
تغيينا في سكة الضياع.
سكنا الشوارع الدامية والعلب الفارغة
سكنا العربات القديمة
ألفنا خطوط النار
أقمنا علاقات مجنونة مع بنات «الكلاشينكوف»
تسكعنا مع القذائف الخاطفة وامتلائنا «بزوامل» الموت.
نُحس بالحياةِ تتدفق
في أغنية ما حافية الروح
تعدل طعم الوحشة في ذائقة الأغصان
وتبعث من تحت الأكمة رائحة المساء البهيج.

لا نُفكر بالحظ المتصاعد،
لا نرقب انقشاع الرؤية المرعبة.
نُخيط وجه المدينة.

نطوي شهقة الأحياء،
نُكنس الرماد بالرماد!
نتسلق المواجع، نسد ثُقوب الأرض.
لا يزال متسع لُنْغني، لنتمايل،
لننتحب كالمطر المتساقط على الأرض المتعبة،
لنُوقظ الموتى
وَنمنح بعض الدفء لبلادٍ سقطت في الفراغ.

دعني أُغني مبتهجاً
لا تقف على مطارق قلبي خافتة الضربات،
تنحّ عن أوتاري الواهنة
دع وجعي المنساب يجعلني أكثر لمعاناً.

موميااء

هل أخبرتكَ من قبل،
أن نهديك أكثر غموضاً
من النقوش المحفورة على ألواح المايا
وأكثر تعقيداً من هندسة الأهرامات العجيبة
والوصول إليهما أكثر خطراً
من الوصول إلى موميااء الملك في مقابر الفراعنة؟

لم يسبق لعلم الآثار أن اطلع
على أية من المسافات الشاهقة بين نهديك
ليعلنها مناطق محظورة،

ولا على أية من الحفريات والخرائطِ والعوالمِ المطمورةِ في هضبةِ
السنّتيانِ، ليستبدلكِ بكلِّ المدائنِ والأماكنِ المحشورةِ في صندوقِ
التراثِ العالميِّ كأوّلِ حضارةٍ مكتشفةٍ لإنسانٍ ما قبلِ النفخِ.

اللغاتُ التي لا تُؤدّي إليكِ تُصيّني بلعنةِ المقابرِ،
وأدفعُ فاتورةً لا بأسَ بها من عمري
وأنا أحاولُ أن أجدَ على يديكِ طريقاً واحداً لم يسلكهُ لصوُصُ
الآثار!

مر وقتٌ طويل،
على آخر مرةٍ نسيتُ فيها أنيابكِ على الشاطئِ،
في العادة لا أخبرُ الناسَ بما أرى
حسناً، لقد انتزعها حدادُ البلدةِ،
وصنع منها حزمة لا بأسَ بها من الخناجرِ الثمينةِ.

سلاتيح العتمة

ربما عليّ أن أقول لك كلاماً سيبدو مثل
رغيف نسيه الخباز
في فرن جارته اليتيمة.
ليس بداعي الحيلة أبداً،
فالنهار لا يأبه «بسلاتيح» العتمة في ثقوب الجبال وتحت أقنية
الصخور،
ولا من باب «كوفيد» فهو أقل من سمائك
بسبعين أرضاً،
ولا يمكن أن يُغامر بالظهور تحت الشمس، وإنما
من باب «حائطي» هرم أصدقائي المرصوص كالعلب القديمة،
حيث سلطة الفراغ والصدى،

حيث تتقاسم قبائل النمل بقايا مائدة الحرب
وفتات عشائها الأخير،
مع الكلاب «البوليسية»
وكاميرات التجسس والمخبرين.

حيث يقضي الظمأ العاطفي إجازته المفتوحة
ويقيم الموت ولاءه الفاخرة،
حيث تنتفخ جبال الطين لتملاً رابطة العنق وتتناثر
مثل جردان القصائد،
ويستفرد الجوع الجنسي بتفاصيل الحقل.
حيث يكمن نتاج الحرب وإفرازات الساسة
ومخابئ «كورونا»،
حيث يخلع الكومبارس وجهه
ويرمي بلسانه إلى كومة الأنواء البعيدة والوحيدة في سماء الطيبين،
حيث تتماهى خدع السينما،
وتسقط دور العرض
ومدن الإنتاج
وتخرج آلاف الجثث من رحم الشارع
وتزحف إلى آخر الأحياء،
حيث تنتهي مزحة الحرب وتبدأ حقيقتها
بين أبناء دراكولا وشعب الزومبي،
لمجرد مرور غزاة شاردة،

وحيث أنا وبعض الذين أحبهم
نهش سوداوية المساء بخيائنا وأوجاعنا
وننكر السماء بأحلامنا المنكسرة.

أنا وحبّيتي

لم نعدُ نتكلّمُ في أمورِ الحبِّ
على رَصيفِ الأمنياتِ،
صرنا نتحدّثُ عن فَنَاجينِ القلقِ
وأناقةِ البنادقِ والرصاصِ
نتبادلُ قصصَ الساسةِ المُفَخَّخَةِ بِقُبَلاتِ الجَحِيمِ،
ونُفَتِّشُ في وجهِ المَدِينَةِ عن آخرِ الضوءِ
لِنُفَتِّحَ في شَريانهِ احتمالاً آخرَ للحربِ.
لم نعدُ نقرأُ رسائلَ «أوزيس» المكتوبةَ على أبوابِ السماءِ
انشغلنا كثيراً بقراءةِ شَريطِ الأخبارِ
والجرائدِ المقلوبةِ والجثثِ المعلقةِ على أبوابِ الكهفِ،
لم نعدُ أبداً كما كُنّا
صرنا مُملينِ جداً،

وساذجينِ جداً

وخائفينِ جداً

حتى في اللحظة الأخيرة من المساء؛

حينَ تتبخرُ القبيلةُ ويشتعَلُ عمودُ النورِ آخرَ الحيِّ

ويتطايرُ الدُخانُ المتبقي في ذاكرةِ الحنينِ،

نتحدثُ عن صديقي،

صديقي هو الطاولَةُ الوحيدةُ التي تَبَقَتْ لنا بعدَ اجتياحِ المدينة،

هو رسالةُ الحبِّ الوحيدةُ التي نُطفئُ عليها حرائقنا،

هو الثقبُ الوحيدُ الذي تتسربُ مِنْهُ روائِحُ الموسيقى وأصواتُ
الماء.

- أنا أحبُّ صديقي

- وهيَ كذلكُ، هكذا نتخفَّى

أو رُبَّما

هكذا نقتلُ الحبَّ في كائنٍ آخرٍ لم يكنْ

يوماً أحداً.

من تحت القصف

كالعادة سأبدأ مسائي معكِ على عجل من ثلاثة محاور:

شفتيكِ، نهديكِ، و...

ربما سيغلبني النعاس أو لدي عملٌ آخر.

فدعيني أشعل فتيل الرغبة

في بئر النفط وأكتب رسالة لا تكتمل أبداً.

ماذا؟

أجل، تلك حدود علاقتي.

لا أملك أكثر سيدي

ولا أدرك أكثر في الحب.

فأنا عربيٌّ لا أفهم من لغتي سوى

أفعال الحرب المنصوبة

و«كان» وأخواتها المكسورة في تاريخي الكاذب!

نعم سيدتي كاذب

كقناعاتك التي سيُبخرها فشلي بمجرد التعامل مع جسدك النافر،

كاذب، كلهفتي التي ستنهار بعد لحظات،

كاذب، كعروبتى ومغامراتى

وعاداتى الغرامية التي لا تشبّع فملة.

لعلك مذهولة بي حد الدهشة

ومأخوذة حد النسيان.

ولعلي نازحٌ إلى ريفٍ عينيكِ جراء القصف.

لكني لستُ بشهريارٍ لأفقه فيسيولوجية البرقِ في لمعانٍ

ساقيك الصفراوين

ولستُ بريمو لأعي خرائط سفر الضوء

في ثقبٍ شحمتك المتدلّية كورقة الكافور،

لأقنع العالم أن ذلك المتأرجح فيها

ليس قرطاً عادياً بل كوكباً صغيراً.

أنا يا سيدتي عربيٌّ يغرق في الحرب والجهل إلى خصيتيه

فكيف لك أن تنفضي الغبارَ عن ذاكرتي

وكيف لي أن أخرج من جلدي بعد قرونٍ

من المشاكسات والقلق؟

منذُ زمن الميلاد الأولِ سيدتي

زمن ما قبلَ السيفِ

وما بعد السيفِ

ما قبل الحجرِ الأسودِ
وما بعد البيتِ المعمورِ
وأنا أمارسُ جسدَ المرأةِ
لكني لم أتعلم شيئاً عن معنى الحب
وأيضاً لم أتعلم شيئاً عن معنى الحرب.

وأبي
ذلك العربيُّ الأول
لا أدري، وهو نبي،
لماذا لم يأبه لِأنوثتكِ
كيف رماكِ في «وادي غير ذي زرع»
وذهب يبحث عن غيمة؟

الفهرس

7	 شيفرة الضوء
18	 شجرة
22	 من زمن الحرب
26	 لعنة الكيبورد
29	 فخاخ بيضاء
32	 عدم
34	 كافي سنس
39	 ممتلئ بالغياب
42	 جنس الناي
45	 مكالمة من عمق الريح
47	 شباط
52	 دموع كثيرة لعيد واحد
57	 أكوام الطين
60	 ديستوبيا
62	 ثغور النايات
80	 1 يوليو
83	 مومياء
85	 سلاتيح العتمة
88	 أنا وحببيتي
90	 من تحت القصف

معاذ حميد السمعي

شاعر يمني، ولد عام 1985 في صنمات أعلى، محافظة تعز/ جبل صبر.

يعيش ويعمل حالياً في تعز. وهو أيضاً طالب في كلية الآداب، قسم علم النفس.

صدرت له عدة أعمال شعرية.

